

## اسبوعان في المغرب الاقصى

اشد البرد في بلاد الانكليز في اواخر ديسمبر فانتبهت الفرحة لزيارة المغرب الاقصى وهو لا يبعد عن انجلترا اكثر من خمسة ايام في البحر ويومين ونصف يوم بطريق فرنسا واسبانيا . اما انا فاحذت طريق البحر ولولا امواج خليج بسكاي لهدم السفرة فسمعت لا تقاقل

## (١) افكار نيشيه

رست الباخرة على جبل طارق وقد نسلطت طي الافكار فرأت نفسي حاكماً قبل النظر ومشافئاً على غير عيان . لماذا انقرض الاسترالي امام الانجليزي ولماذا اصبح التاجر المصري صغراً امام التاجر الاجنبي لان ليس فيهما صفة لبقاء . من الصفات البقاية في بعض السمك ان يكون شغافاً حتى لا يراه عدوه ويأكله ومن الصفات البقاية لبعض النباتات ان تكون مرة المذاق حتى لا تبيدها الحيوانات ولكن لو انتلب ذوق الحيوانات من كره المرارة الى حبها لانقرض كل نبات من

كانت صفات المنكر والخداع والجلين نتمنا ونحن في عصر الظلم لان الظالم لا يترضى بحرية الضمير اما الآن فهذه الصفات واقفة ضد تقدمنا . فنحن لا نذهب الى التاجر المصري لانه لا يعرف لبضائه « شئاً محمداً » وقاعدته ان يلعب على جهلك . الصدق هو صفة بقاية في التاجر مثل القوة الجسدية في الحيوانات القوية والتاجر الخادع ماله الى الخراب فالادوي فاز في اسواق العالم لان صفاته تبيع و صفاتنا تبيدنا . وهذه الصفات ليست موروثه في بل مكتسبة دنت على ذلك اليابان في تمدنها الخاضر فاصينا الاعماليات . فادابنا وطادتنا واقفة امام التقدم فلما قلبها واما تأخرنا . فلحربنا الميتة التي نخدعها الام المصرية حجاباً لابنها والمرأة التي نستهها ونحجبها في البيت والجلين الادبي المنتشر بين الشبان — كل هذه العوامل تكفي لقتل الامم

هذه فرانسوا واقفة حول المغرب ولسان حالها يقول انها بعد لها بين افراد الامة وباحترامها للمرأة وبامانة تاجرها ترى شعبها اسقى بحجيرات المغرب من المنارية انفسهم . من يسمع ان مولاي حفيظ يعيش في بيت مشات من الجوازي وان جريدة « السعادة » حنأة في الشهر

الماتني بولادة خمسة اولاد وان الحشيش تحكروه الحكومة ويدخنه الناس كما يدخن التبغ  
هنا وان النيكليت يتبر من اعمال الشيطان ويوح الناس رأكبه بالطوب من يرى هذا  
او غيره ويقول ان المناربة حقيقون ببلادهم او قادرون على حفظها

## (٢) طنجة

طنجة اسكندرية المغرب على شكل اصفر واحقر تبعد عن جبل طارق ساعتين بالقرب  
البحاري وجزعها من اسهل وأبسط ما رأيت فالجركي المغربي يجهل كلمة سابررت كما يجهل قاضي  
طنجة كلمة مادة او قاتون . والشوارع على ضيقها مرصوفة بالحجارة الصغيرة التي يصعب المشي  
عليها وهي من عهد عبد العزيز الذي اخذ يتشر المدينة وترك اللب . والبيوت حتمرة مبيضة  
بالجير وبها طاقات صغيرة لا تكاد تطفئ النور وليس في البلد صارف ولذلك تبعت رائحة  
خبيثة من بعض الازقة تصدع الماتني . وقد بنى اليهود جملة بيوت خارج البلد وفي وسطها هي  
القصور في جملة . والمغربي يحقر اليهودي كأن يد الله كانت شلاء لما خلقته كما قال عمر  
الخطيب ولكنه يخدمه . قترى الناس نشام بان يسب بعضهم بعضا الى اليهودية اما اليهودي  
نفسه فقد ترك الاعيالات وقبض على الحفائق ولم يغير الفخط منه الا في جعل حديد  
فولاداً ( صلباً ) . فهو ماسك مفتاح الاسواق التجارية اليوم في المغرب وفي الشرق ايضا .

وام تجارة طنجة في ايدي الاجانب واليهود الذين يجلبون حاجات البلاد من اوربا  
اما التجارة الوطنية فلا تزيد على بيع الفلال ونحوها من المحصولات الزراعية وقد انحلت  
الصناعة الوطنية لشدة نهب عمال المنزن ( الحكومة ) . رأيت في دار الوالي سقفا مرصعا  
بالصدف على غابة من الدقة الهندسية ولكنه قديم وعملت انه لا يمكن عمل مثل هذا الآن لعدم  
وجود الصناع . فكل نافع في هذا الفن اذا علم يد السلطان استحضره وعده من عيده ويحده  
ويكده بلا اجرة في سراياته نال البوغ اذن جريمة في المغرب . وتقام في طنجة سوق مرتين في  
الاصبرع وهي مثل الاسواق الريفية المصرية

وحياة المغربي عريية صرفة حتى الملقة معدومة من مائدته . زرت والي المدينة وهو  
شاب في العقد الرابع من عمره قيل لي انه متور زار باريس وبرلين وهو يكن القصة  
مكته الرمي وهي تماثل في بنائها البيوت الرومانية القديمة للاحقارة خارجها . سار بنا الوالي  
الى جهو مستطيل مفروشة فيه المراتب على سجاد طوبلة وثابت كوروس الشاي الى ان قنا .

ومن غريب ما لاحظت ان صاحب البيت معني بنظافته وتجميله ولكنه لا يعتني بتطهير  
خديه فقد كان يخدمنا ونحن هناك عبد صغير حافي القدمين حاسر الرأس بلباس حقيرة لولا  
وجوده في ذلك البيت لظننته من ابناء السبيل المخدمين

وفي المنزب طائفة يقال لم العيسويون اتباع انولي عيسى يأكلون اللحم ميتا واحيانا حيا.  
وقد رأيت جماعة يهذون باسم الله والشيطان وهم في حالة هستيرية وقيل لي انهم طائفة من  
العيسويين

والصيد كثيرون هنا وقد افردوا الدم العربي باختلاطهم بالعرب . والجارية الحشاء  
يتراوح ثمنها بين خمسة جنيهات والسي او الصية اغلى من الرجل او المرأة وهم يحفظونهم من  
السودان المصري والفرنسوي ولكن لشدة الاحتماطات العسكرية اليوم صار المغاربة يرون  
الاكسب لم ان يولدوم عندهم فيجمعون كل ما يتدرون على جمعه من الجوارى ويعملونهن  
دائما في حالة الجمل لبيما اولادهن وقد قيل لي ان هذه التجارة رابحة

وقد اضرته نذخين الحشيش بصحة الامة ضرراً بليغا فالصي كالرجل لا يقدر على مسك  
شيء الا ويده ترمش وقد اصفرت وجوههم حتى تمسهم من الصينيين والشعور بالقومية  
معدوم بالرة فحرب الريف مع الاسبان الآت وقيام مولاي الكبير ليس لها من اهمية عند  
ساكني طنجة اكثر من حرب الروس واليابان

والنساء محجبات ولكنهن اذا خرجن لا يلبسن البرافع كالمرأة المصرية بل يسبلن  
الملاء على وجوههن . وقد انتشرت هذه العادة بين بعض الاسبان الساكنين في طنجة او  
الموالي المغربية الاخرى وهم في ذلك كالتنبط يصعون الأكثرية لئلا يشذوا عن بقية السكان  
ولكن يختلف الاسباني عن التبطي في سرعة تخلصه من هذه العادة

وتعصب السكان بالغ اشد فلا يبشي الاوربي الا واللغات نساقت عبيد وهو لا يلتفت  
اليها لانه اعتادها . وليس الجزمة الافرنجية بدلا من البلغة يده ككفرا وقد طرد مولاي عبد  
العزيز من العرش لمثل هذا السبب البسيط . وكانت فاس مقر اسقف مسيحي في القرن الثالث  
عشر لكن العصب فرض المسيحيين منها كما فرض المسلمين من اسبانيا . هكذا يقتل بعضنا بعضا  
لاجل عتائدهم يختلف في نفسها

وحب السنن شديد في المغربي وهو يفتخر به كأنه دليل الجاه والثروة تفرى التحيف منهم  
يلبس رداء واسعاً وحزاماً عريضاً لكي يظهر مديته

## (٣) اللغة والتعليم

الشرق مشهور بالجهود وقد اضره مجوده كثيراً ولكنه افاده في اللغة فالعربية اليوم اقوى وانفع جامعة بين الامم العربية فلو ترجم المخاربة القرآن بلهجتهم الخاصة او كتبوا بها بدلاً من العربية الفصحى لوجدنا انفسنا منفصلين عنهم الآن كما انفصل الفرنسي عن الانجليزي ولكن القرآن حفظ العربية قديراً الميراث الذي نشر في بغداد نقراً وتفهيم في طبعه بلا شعور بفرابة في الاشياء

لما نزلت عليه شعرت بالفرق بين اللغة المصرية والمغربية فاذا تكلم مغربان من العوام تشعر كأن الكلمات خارجة من حلقهما ويسخيل أن تفهم أكثر من عشرة في المائة من اتوالم فقد كنت افضل التكلم بالفرنسية او الانجليزية مع دليلي على التكلم بالعربية ولكني كنت افهم كل ما يقال لي اذا تكلمت مع قراء الميراث او المتعلمين نوعاً - واسماء الاشياء تختلف احياناً من اسماها عندنا واليها شيئاً منها

المعلم الحجام الحلاق - شادور سفير - شهبويه برنيطة وهي اسبانية - متولية كرنبي - تشارفريه - مباط حذاء ازبلقة بلغة مصر

وقد قيل لي ان المدارس الابتدائية منتشرة في البلاد واعلمها قديم والرغبة في العلم ثابتة وقوية في الامة وانمن ان عدد القراء في المغرب ضعفاً سدوم في مصر فقد يكون الفلاح عارفاً بالقراءة وكذا خادم اللوكالدة او غيرها من العامة - وخطوطهم مثل خطوط القرن السابع عشر ولعلك يصعب قراءتها على من لم يعمدها وقد جلب حضرة وديع اتندي كرم صاحب جريدة السعادة - وهي الجريدة الوحيدة العربية في المغرب - حروفاً عربية من التي تشمل في مصر وسورية وميتوحد بواسطتها الخط العربي

والظاهر ان ليس في البلاد حركة اصلاحية مطلقاً والسبب في ذلك عدم شعور الاهالي بتأخرهم فالعصري وان كان مشتركاً مع المغربي في تأخره فان الميراث جعله يشعر بتأخره ففي مصر تشعر الامة بمجهول الفلاح واستعباد المرأة وتعرف ان لاجية لها بين الامم المتقدمة الا ان بني هاتين العنطين امان في المغرب فلا شيء من ذلك - قرأت منذ يومين كتاباً من صديق الى صديقه فوجدت ثلاثة ارباعه في مدح الله بلغة ركيكة وتعايير عربية قديمة مما يدل على ان الكتاب تربي تربية الكتاب فقط - والمخزون (الحكومة) غير شاعر بالحاجة الى المدارس الحديثة مطلقاً

وملاهي المغاربة الغناء فقط والالخان بين المتسرية والعربية واحسن اغانيهم يذكرون  
ليو فندان الاندلس واسترجاعها كقولهم

يا اسفي على ما مضى وايام الفرح والرضى

زمانك لتد اقبل بايام هنية

يا فرقة ديار الاندلس مهلا على

مضينا ايام الملاح في غرناطة بالانشراح

ما بين الورد والافاح مضينا عشي

وقولهم

ولم نجد في طنجة كلها مكتبة عربية وللترالة الفرنسية هنا جريدة يومية اما كل المغاربة  
الذين يملكون ثمانية ملايين فليس لهم غير جريدة السعادة التي تصدر مرتين في الاسبوع  
وصاحبها سوري

قال محيي الدين المراكشي في كتابه تاريخ الامدلس «كانت بالربض الشرقي من  
قرطبة مائة وسبعون امرأة كلهن يكنين للصحاف بالخط الكوفي هذا في ناحية من نواحيها  
فكيف يجمع جبايتها» وسكان المغرب اليوم وهم من نسل اولئك القوم ينعون تعلم النساء  
وقد سمعت امس ان الرجل يهدي ابنته احيانا الى بعض الموظفين على سبيل الرشوة  
لتخدم وتتعبد

المرأة الانجليزية تزاحم الرجال في اعمالهم اما المغاربة فقد اجبروا بناتهم على  
مزاحمة الجوراري

#### (٤) الحكومة

المغرب مقسوم الى ولايات على كل منها وال ينتخبه السلطان وهو في المغرب يعتبر خليفة  
السلطان وينتخب له في الجوامع اما في الجزائر وتونس فالخليفة سلطان العثمانيين . وسلطان  
المغرب مطلق التصرف يشعين في ادارته بحملة وزراء . فالوزير الكبير للامور الداخلية  
ووزير البحرية للخارجية ثم وزير الحرب ثم وزير الشكايات للظالمين سيف القضاء ثم امين  
الامانة لمالية ثم امين المصروفات ثم امين النخل اي الايرادات ثم امين الحساب اي تحقيق  
الوارد والتصريف ثم حاجب القصر السلطاني ثم المشوار الذي يقدم للسلطان كل من يرغب  
في ان يراه ثم نائب السلطان في طنجة لمقابلة القراء ومن مجموع هذه الوزراء يتكون المغرب  
او الحكومة المغربية

اما المال في الولاية فهم الوالي وهو رأس الهيئة التنفيذية في الولاية وينوب عنه سيف

فيايه او في المسائل الصغرى خليفته ثم القاضي وهو الذي يحكم في مسائل المدينة والشخصية حسب الشريعة الاسلامية. وما عرفته ان القائل لا يقتل وانما يحبس مدة طويلة او قصيرة حسب قدرته على دفع شيء للخزن ثم المحاسب ووظيفته تحديد اثمان المبيعات والتفتيش على الموازين والمكاييل ثم امين المستفاد وهو الذي يقبض ويسلم اموال الخزن

ولما كانت العدالة في المغرب معناها الرشوة احتج كثير من من اليهود والوطنيين بالفتنات الاجنبية حتى هربوا من فوضى القضاء المغربي ولكن بواسطة مؤتمر الجزيرة الفت لجنة من الاجانب والوطنيين الآن لجمع الضرائب وسجله مثالها في المواثيق الاخرى. فهناشيء من الامل لتعيين الادارة والبوليس المغربي من عهد مولاي عبدالعزیز وقد وكلت الدول فرنسا بتنظيمه

ويظهر ان استقلال البلاد مضمون ودخول فرنسا اليها من المشيكلات لان غيرة الامم والاوروبية على املاك المغرب شديدة ولا يمكن تحديد نفوذ لاسبانيا او لفرنسا. هذا لو خفضنا النظر عن المانيا التي لا يمكن اهانها الآن. والموظفون الوطنيون يعرفون ذلك وهذا يمشهم دائماً على البقاء في خمولم القديم. وليس امر على الشرفي المنور من ان يرى خصب البلاد وغناها ثم افعال الحكومة وظلها الى درجة يستهان معها اي احتلال اجنبي. فيواسطة الظلم المخطت التريبة وماتت الصناعة الوطنية وامست البلاد المغربية اكواماً من العشى لا يرضى اوردنا بتسكين دوايب فيها. والحكومة اذا رأت وطنياً غنياً تشتمل كل وسيلة لابتزاز ماله حتى يحمي بتنصبة اجنبية او يرمى في السجن

وقد سمعت ان مولاي حفيظ يرغب في استحضار بعض الشبان السوريين والمصريين من الذين تعلموا في مدارس حديثة في المغرب ولكني استبعد ذلك ولا يمكن البدء في هذه الاعمال الا باعداد شبه رأي عام في الامة يرغب في المدنية وهذا لا يكون الا باشاء الصحافة التي تنبه المغربي من خموله

وهنا فرصة للمصري او السوري الراغب في تقديم الام العربية

(٥) خلاصة تاريخ المغرب

اختم هذه المقالة بإيراد خلاصة تاريخ المغرب من الكتب الفرنسية ولا اظن ان سيغ العربية تاريخاً كاملاً للمغرب غير الاستقصاء للسلاوي فالغاربة — ونسبهم الصحافة المصرية احياناً بالمراكيين وهو خطأ لان مراكش مدينة

من مدن المغرب فقط - يسكنون بلادهم بالمغرب الاقصى وثلاثام من البربر والثلث الباقي من العرب . ووجه البربري بين الرومي والفرنسوي مع سحرة قليلة وبعض هؤلاء البربر ما زال يتكلم لغته القديمة . واليهود يملكون نحو مئمة الف اما الاورييون فيملكون نحو عشرة آلاف منهم سبعة آلاف اسباني

والمغرب دخل في حوزة السلطنة الرومانية ككل البلاد التي على البحر المتوسط وما زالت بعض آثار الرومان ليه الى الآن

وسنة ٤٢٩ م دخلته قبائل الفندل واستأثرت بالسلطة

وسنة ٥٣٣ م دخل بليار قائد يوستينانس امبراطور القسطنطينية المغرب وضمه الى السلطنة البيزنطية

وسنة ٦٣٠ م دخل المغرب قبائل الفينيقيوث الاسبانية واستولوا على طنجة واضعقوا القولة البيزنطية

وسنة ٦٨١ م ابتداء الفتح العربي على يد الامويين الذين ارسلوا عقبة بن نافع حاكم تونس فاستولى على المغرب وتناجح بعده الحكام

وسنة ٧٨٨ م حرب الامام اجريس الى المغرب واسس دولة الادارسة التي حكمت الى سنة ٩٨٥ م وهم يتسبون الى الامام علي بن ابي طالب

وسنة ٩٩١ م استولت زفانة على المغرب الاقصى وهي الامر طال الى سنة ١٠٦٩ م وهاتان القولتان زفانة والادارسة عريشان

ثم تبع ذلك ثلاث دول بربرية الاولى دولة المرابطين حكمت من سنة ١٠٥٣ م الى سنة ١١٤٧ م ومنها يوسف بن تاشفين المشهور

الثانية دولة الموحدين حكمت من سنة ١١٣٠ م الى ١٢٦٩ م ويقال انها عربية

الثالثة دولة بني مرين حكمت من سنة ١٢٦٩ م الى ١٥٥٠ م

وهنا خرجت اخلافة من ايدي البربر الى العرب فاستأثر بالسلطة السعديون الشرفاء من ١٥٥٠ الى ١٦٦٠

وسنة ١٦٦٠ تغلب العلويون وهم عرب ايضا على السعديين وما زالت اختلافات سيفهم للآن